السنة الخامسة والثمانون

وفيها عزل الحجاج يزيد بن المهلَّب عن خراسان، وولّى عليها أخاه المفضَّل بن المهلب.

قال علماء السير: كان في قلب الحجاج من يزيد، حيث أطلق بعض الأسرى من أصحاب ابن الأشعث، ثم أكّد ذلك أن الحجاج وَفد على عبد الملك، ثم عاد إلى العراق، فمرَّ في طريقه بدَيْرٍ فيه راهب؛ عالم بالكتب والعلم الأوّل، فسأله: هل تَجدون أمرَنا في كتبكم؟! قال: نعم وما هو كائن، قال: فما تقول في عبد الملك؟ قال: نجده في زماننا الذي نحن فيه، قال: ومَن يقوم بعده؟ قال: رجل يُسمّى بالوليد، قال: ثم مَن؟ قال: رجل يُدعى باسم نبيّ، يفتح الله به على الناس، قال له الحجاج: فتعلم ما أَلي؟ قال: نعم، قال: فمَن يليه بعدي؟ قال: رجل اسمُه يزيد، قال: في حياتي أم بعد مماتي؟ قال: لا أعلم، قال: أتعرف صِفته؟ قال: نعم، يَغْدِر غَدرة، قال: ثم ماذا؟ قال: لا أدري.

فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلَّب، فكتب إلى عبد الملك يَستعفيه من ولاية العراق، فلم يُعفه، وجلس الحجاج بعد ذلك يفكّر، فدخل عليه عبيد بن مَوْهَب وهو يَنكُت في الأرض، فقال له: ما الذي بك؟ فقال: إن أهل الكتب يذكرون أن ما تحت يدي يَليه رجل يقال له: يزيد، وإني نظرتُ في هذا الاسم فتذكَّرتُ جماعة لا يَصلحون له: يزيد بن أبي كَبْشَة، ويزيد بن حُصَين بن نُمير، ويزيد بن دينار، وليس فيهم مَن يَصلح، وما ثَمَّ غير يزيد بن المُهَلّب، فقال: فأَخْلِقْ به.

فنظر فلم يَجد شيئاً يَعزِلُه به، فكتب إلى عبد الملك يذمُّ يزيد ويقول: إنه يميل إلى آل الزبير، فكتب إليه عبد الملك: إن ذلك وفاء لآل الزبير من آل المهلب، وإن وفاءهم لأولئك يَدعوهم إلى الوفاء لنا، فكتب إليه الحجاج يُخوِّفه غَدْرَ يزيد وآل المهلب، فكتب إليه عبد الملك: قد أكثرتَ في يزيد، فسَمِّ لي رجلاً يَصلح لخُراسان، فسمّى له مُجّاعة بن سِعْر السَّعديّ، فلم يَرْضَه عبد الملك، وسَفَّه رأيَ الحجاج فيه، فسمّى له قُتيبةَ بن مسلم، فقال: وَلِّه.

وبلغ يزيد فقال لأهله: مَن تَرون الحجاج يُوَلّي خراسان؟ قالوا: رجلاً من ثقيف، قال: كلا، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعَهْده، فإذا قدمتُ عليه وَلّى رجلاً من قيس، وأخلِقْ بقُتيبة.

وكره الحجاج أن يُواجِه يزيد بالعَزْل، فكتب إليه أن استخلِفْ أخاك المفضَّل واقدم عليّ، فاستشار يزيد حُضَين بن المنذر فقال: أقم وتعلَّل عليه، فإن عبد الملك حسنَ الرأي فيك، وإنما أُتيت من قِبلَ الحجاج، فإن أقمتَ فربما كتب إلى الحجاج بإبقائك، قال: فإنّا أهلُ بيت بُورك لنا في الطاعة، وأكره المعصية والمخالفة.

وشرع في جِهازه، وأبطأ على الحجاج، فكتب إلى المفضَّل بعهده على خُراسان، فجعل المفضَّل يَستحثُّ يزيد، ففطن فقال: يا مُفَضَّل، إن الحجاج لا يُقرُّك بعدي، وإنما وَلّاك مخافةَ أن أمتنع عليه، قال المفضَّل: بل حَسَدْتَني، فقال يزيد: يا بن بَهلة، أنا أحسدُك! ستعلم.

وسار يزيد من خراسان في ربيع الأول(١) هذه السنة، وعزل الحجاج المفضَّل، وولّى قتيبة، فقال حُضَين بن المنذر ليزيد: [من الطويل]

أمرتُك أمراً حازماً فعصيتَني ... فأصبحتَ مَسلوبَ الإمارةِ نادِما
فما أنا بالباكي عليك صَبابةً ... وما أنا بالدَّاعي لتَرجِعَ سالما

فلما قدم قتيبة خراسان قال لحُضَين: كيف قلتَ ليزيد؟ فقال:

أمرتُك أمراً حازماً فعصيتَني ... فنَفْسَك وَلِّ اليومَ(٢) إن كنتَ لائما
فإن بلغ الحجَّاجَ أن قد عَصيتَه ... فإنك تَلْقى أمرَه مُتفاقِما

فقال: فما أمرتَه به فعصاك؟ قال: أمرتُه أن يَحمل إلى الحجاج كلَّ بيضاء وصَفْراء فخالفني. ولم يُرد هذا، وإنما مَوَّه على قُتيبة فخلَصَ منه.

وكانت ولاية يزيد من سنة اثنتين وثمانين، وعُزل سنة خمس وثمانين.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٩٥: وخرج يزيد في ربيع الآخر.

(٢) كذا، والذي في «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٩٦: فنفسك أَوْلِ اللَّوْمَ، وهو الصواب.

قال هشام بن الكلبي[١]: كان الحجاج قد أذَلَّ أهل العراق كلهم إلا آل المهلب، فلما فرغ من ابن الأشعث شرع فيهم خوفاً منهم، وكتب إلى عبد الملك فيهم مراراً، حتى أجابه إلى عزل يزيد.

وفيها هلك ابن الأشعث.

وفيها غزا المفضَّل بن المهلَّب باذَغِيْس، فغنم غنائم كثيرة، وفتح المدينة، فأصاب كلُّ فارس ثمان مئة درهم، ولم يكن للمفضَّل بيت مال، كان يعطي الناس كلَّ ما عنده، وإذا غنم شيئاً قسمه، وأقام على خراسان تسعة أشهر، وجاءها قتيبة بن مسلم.

وفي المفضَّل يقول كَعْب الأَشْقَرِيّ: [من الطويل]

ترى ذا الغِنى والفقرِ من كلِّ مَعْشَرٍ ... عَصائبَ شَتَّى يَقْصِدون المُفَضَّلا
فمِن زائرٍ يرجو فَواضِلَ سَيْبه ... وآخرُ يَقضي حاجةً قد ترحَّلا
إذا ما عَدَدْنا الأكرَمِيْنَ ذوي النُّهى ... وما قَدَّموا من صالحٍ كنتَ أوَّلا
صَفَتْ لك أخلاقُ المهلَّبِ كُلّها ... وسُرْبِلْتَ من مَسعاتِه ما تَسَرْبَلا[٢]

وفيها هلك موسى بن عبد الله بن خازم بالتِّرمِذ.

وفيها عزم عبد الملك على خَلْع أخيه عبد العزيز بن مروان.

وحج بالناس هشام بن إسماعيل المَخْزومي، وكان العامل على العراق والمشرق الحجاج.

[فصل:] وفيها توفي

سفيان[٣] بن الأَبْرد

ابن أبي أُمامة بن قابوس الكلبي، [وكنيته] أبو يحيى.

[وقد ذكرناه في قصة الضحاك بن قيس ومروان، وكان بدمشق.]

---

(١) في (ص): وذكر هشام بن الكلبي وجهاً آخر في عزل يزيد عن خراسان، فصل: وفيها توفي شقيق بن الأبرد.
(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٩٧-٣٩٨.
(٣) في (ص): شقيق، وهو خطأ.

كان مع عبد الملك لما خرج عليه عمرو بن سعيد.

وهو الذي كان على ميمنة الحجاج يوم هزم ابنَ الأشعث، وكان في حروب الحجاج حتى استقام له العراق.

[وذكره ابن عساكر في «تاريخه» وقال:] كانت له دار بجَيْرون، وكان له سُوق الصَّياقل قَطيعةً[١].

[وقال الواقدي:] غزا مع يزيد بن معاوية القُسطنطينية في سنة خمسين، ورأى يزيد أبوابَ البلد لا تُغلق ليلاً ولا نهاراً، فقال لسُفيان وحُمَيد بن حُرَيْث: ما لي أرى الأبواب لا تُغلق ليلاً ولا نهاراً؟! فقالوا: إنما يفعل الروم ذلك لعِزَّتهم؛ وأنهم لا يخافون أحداً يدخل عليهم منها، فقال يزيد: لئن أصبحتُ صالحاً لَيُغْلِقُنَّ الباب أو لأدخُلَنَّ عليهم منه، ثم قال لسفيان وحُميد: إذا شددت غداً فشُدَّا من ظَهري.

فلما طلع الصباح حمل يزيد وحملا معه وهو بينهما، حتى وصلوا إلى الباب، وخرجت الروم، وعاد بعضهم فأغلقوا الباب، وحمل بطريق على سفيان فطعنه فصرعه، وشدَّ حُمَيد على البطريق فطعنه فوقع ميتاً، ووقف يزيد على الباب ساعة، ونظر إلى سفيان صريعاً فقال: خالي خالي، ثم نزل ووضع رأسه في حجره وقال: ابغوني شَحْماً، فأبطؤوا عليه، فأخذ من شَحْم البطريق، فأدخله في جَوْف سفيان، وخَيَّطه مَوضعَ الطَّعنة، فبرىء سفيان ولم يُولد له بعد ذلك.

[وفيها توفي]

عبد الله بن عامر[٢]

ابن ربيعة بن مالك العَدَويّ، من بني ربيعة بن نزار، حليف الخَطّاب بن نُفَيل، وكنية عبد الله أبو محمد.

[ذكره ابن سعد في] الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة [وقال: ولد على عهد رسول الله ﷺ]، وكان ابن خمس سنين أو ست سنين يوم قُبض رسول الله ﷺ.

---

(١) في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٧٣: له سوق: الصاقلة بدمشق قطيعة وما بين معكوفات من (ص).

(٢) في (أ) و(خ) و(د): عباس، وهو خطأ، والمثبت من (ص).

وقال [ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال]: جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبيٌّ صغير، فخرجتُ ألعب، فقالت أمي: يا عبد الله، تعالَ أُعطيك، فقال رسول الله ﷺ: «وما أردتِ أن تُعطيه؟» قالت: أردتُ أن أُعطيه تَمراً، فقال: «لو لم تفعلي كُتِبت عليك كَذْبة»[١].

وحفظ عن أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم، وروى عنهم وعن أبيه، وقال: أدركتُ أبا بكر وعمرَ ومَن بعدهم من الخلفاء يَضربون في قَذف المَمْلوك أربعين.

وقال محمد بن عمر: مات عبد الله بن عامر بن ربيعة بالمدينة سنة خمسٍ وثمانين، وكان ثقةً كثيرَ الحديث [رحمه الله تعالى][٢].

عبد الرحمن بن محمد

ابن الأشعث بن قيس الكندي، الخارج على الحجاج.

نشأ بالكوفة، وكان مُقَدَّماً في كِندة، وكان وُلاةُ العراق يخافون شرَّه فيُجاملونه، وكان أبغضَ خلق الله إلى الحجاج، فتمكَّن واستطال، وخرج عليه، وطمع في الخلافة، وواقع الحجَّاج نيّفاً وثمانين وَقعة، إلى أن انهزم وحصل عند رُتبيل.

ولما رجع من هَراة يريد رُتبيل قال له علقمة بن عمرو الأَوْدي: ما أحبُّ أن أدخل معك بلاد رُتبيل، قال: ولم؟ قال: كأني والله بكتاب الحجاج قد جاء إلى رُتبيل يُرَهِّبُه ويُرَغِّبه، فإذا هو قد بعث بك إليه سَلَماً، أو قتلك وقتل كل مَن معك، ولكن ها هنا خمس مئة قد تبايعنا على أن ندخل مدينة فنتحصَّن فيها، ونقاتل حتى نُعطى أماناً، أو نقتل كراماً، فوافِقْنا، فأبى عبد الرحمن، ودخل إلى رُتبيل، وأقام هؤلاء الخمس مئة خارجاً عن بلاد رُتبيل حتى قدم عُمارة بن تميم اللخمي، فأمّنهم ووفى لهم لما خرجوا إليه.

(١) «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٥٦ـ٥٥٧ و٧/ ١٠٠٩ . وما بين معكوفين من (ص)، ووقع فيها بعد هذا زيادة مكررة نصها: قال ابن سعد: وقد أدرك الخليفتين يعني أبا بكر وعمر.

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، وجاء بعدها ترجمة عبد العزيز بن مروان، وانظر «طبقات ابن سعد»، و«السير» ٣/ ٥٢١ .

ولما حصل ابن الأشعث عند رتبيل كتب إليه الحجاج: والله لئن لم تبعث إليَّ بابن الأشعث لأُوطِئَنَّ أرضك ألف ألف مقاتل، وإن بعثت به إليّ وضعتُ عنك خراجَك سبع سنين.

فقتل رتبيل ابنَ الأشعث، وبعث برأسه إلى الحجاج، وقيل: إنه مات بعلّة السلّ عند رُتبيل، فبعث فحزّ رأسه وبعث به إلى الحجاج، وكان قد أسر ثمانية عشر رجلاً من آل ابن الأشعث، فكتب إلى الحجاج يخبره، فخاف الحجاج أن يبعث بهم إليه أحياء؛ فيطلب منه عبد الملك تَخليتَهم، فكتب إلى رتبيل: اضرب أعناقهم، وابعث إليَّ برؤوسهم ففعل.

وقال معمر: خرج عُمارة بن تميم اللخمي من كَرمان يطلب سِجستان، فأتى إليها وعلى الخمس مئة الذين ذكرناهم مَودود العَنْبريّ، فحصرهم ثم أمَّنهم، واستولى على سجستان، وبعث إلى رتبيل بكتاب الحجّاج وفيه معنى ما تقدم الترغيب والترهيب، فأبى رُتبيل أن يُسلِم ابن الأشعث.

وكان مع ابن الأشعث عُبيد بن أبي سُبَيع التميميّ، وكان خَصيصاً به، وكان رسولَه إلى رُتبيل، فخف على رُتبيل[١] واستخصّه، فقال القاسم بن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن: قد رابني أمرُ هذا التميميّ فاقتله، فهمّ به، وبلغ التميميَّ فخافه ووشى به إلى رُتبيل، وخوَّفَه الحجاجَ، وخرج سرّاً إلى عُمارة، فصالحه على مالٍ لرُتبيل ولنفسه؛ يقال: إنه ألف ألف درهم، ووضع الخراج عنه مدة عشر سنين، واتّفق عُمارة مع الحجاج على ذلك.

جعل رُتبيل في عُنق عبد الرحمن وأخيه وأهله الجوامع[٢]، وبعث بهم إلى عمارة وكان نازلاً ما بين سجستان وبلاد رُتبيل، ولما قَرُب عبد الرحمن من عُمارة مرَّ في طريقه بقصرٍ، فصعد إلى أعلاه، ثم ألقى نفسه منه فمات، فاحتزّوا رأسَه، وأتوا به وبأهله إلى عُمارة، فقتل الأسرى، وبعث بالرأس إلى الحجاج، فبعث به إلى عبد الملك، وبعث به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر.

---

(١) أي: أَنِسَ به. وقولُ معمر هذا (وهو ابنُ المثنّى) في تاريخ الطبري ٦/ ٣٩٠ .

(٢) كذا، وهذا السياق فيه انقطاع، صوابه: فأرسل رتبيل إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته وقد أعد لهم الجوامع والقيود. . . انظر الطبري ٦/ ٣٩١ .

قال عمر بن شبّة: لما بعث الحجاج رأس ابن الأشعث بعثه عبد الملك إلى امرأة من آل الأشعث كانت تحت رجل من قريش، فلما وضع بين يديها قالت: مرحباً بزائرٍ لا يتكلم، ملكٍ من الملوك، طلب ما هو أهله فأبت عليه المقادير، ثم طيَّبته بالمسك بعد أن غسلته.

ونظر ابن الأشعث إلى رجل من أصحابه وهو هارب إلى بلاد رُتبيل فتمثَّل: [من السريع]

مُنْخَرِقُ الخُفَّينِ يشكو الوَجا ... تَنكُبُه أطرافُ مَرْوٍ حِدادِ
قد كان في الموت له راحةٌ ... والموتُ حَتْمٌ في رقابِ العِبادِ
طَرَّده الخَوفُ وأزرى به ... كذاك مَن يَكره حَرَّ الجِلادِ

وسمعه الرجل فقال: هلا ثَبَتَّ في موطن من تلك المواطن فنموت بين يديك، ثم تموت أنت، فهو خيرٌ لك مما صِرتَ إليه(١).

والذي حمل رأس عبد الرحمن إلى عبد الملك عِرار بن عمرو بن شَأْسٍ الأسديّ الكوفي، قال عرار: لما قدمتُ على عبد الملك بكتاب الحجاج جعل يقرؤه، وكلما شَكّ في شيءٍ منه سألني فأخبرتُه، فعجب عبد الملك من فصاحتي مع دَمامتي وسوادي، فضحكت وأنشدت: [من الطويل]

فإن عراراً إن يكن غيرَ واضح ... فإني أحبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

فغضب عبد الملك وقال: لم ضحكتَ(٢)، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتعرف عِراراً؟ قال: لا، قلت: أنا عِرار؛ كان أبي قد تزوّج امرأةً وهي أم حسان(٣)، فكانت تُؤذيني فقال:

فإن كنتِ منّي أو تُريدين صُحبَتي ... فكوني له كالسَّمْن رُبَّتْ به الأَدَمْ
وإلا فسِيري مثلَ ما سار راكبٌ ... تيمَّم خَمساً ليس في سَيْره أَمَمْ
أرادتْ عِراراً بالهوان ومَن يُرِدْ ... عِراراً لعَمْري بالهوان فقد ظَلَمْ
فإن عراراً إن يكُن غيرُ واضحٍ ... فإني أحب الجَوْنَ ذا المنكِبِ العَمَمْ(٤)

(١) «تاريخ الطبري» ٦/ ٣٩٢. وينظر الأخبار الطوال ص ٣١٩ـ٣٢٠.
(٢) كذا، وسياق الخبر في «تاريخ دمشق» ٤٧/ ١٧٠: فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته مع سواده فقال متمثلاً: فإن عراراً... فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك فقال له: مم ضحكت؟ وقولُه: الجَوْن، يعني الأسود.
(٣) بعد وفاة والدة عرار، وهو رضيع.
(٤) بدل هذا الشطر في (أ) و(د): وذكر البيت.

فضحك عبد الملك وأحسنَ جائزتَه.

وكان عرار دَميماً قبيحاً أسود.

ولأبيه عَمرو بن شَأس صُحبة ورواية، شهد الحُدَيبية وكان شاعراً، ومن شعره: [من الطويل]

إذا نحن أدلَجْنا وأنتِ أمامَنا كَفى لمَطايانا بوَجهك هاديا
أليس تُريد العِيْسُ خِفَّةَ أذرُعٍ وإن كنَّ حَسْرى أن تكون أمانيا[(١)]

وقال عمرو بن شأس: خرجت مع علي بن أبي طالب إلى اليمن، فجفاني في سفري ذلك، حتى وَجدتُ في نفسي عليه، فلما قدمتُ أظهرتُ شِكايته في المسجد حتى بلغ رسولَ الله ﷺ، فدخلتُ المسجد ذاتَ غَداة ورسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فلما رآني أبَدَّني عينيه، حتى إذا جلستُ قال: «يا عمرو، والله لقد آذيتَني» فقلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله! فقال: «بلى من آذى علياً فقد آذاني»[(٢)].

وقال ابن عساكر[(٣)]: كان عبد الرحمن بن الأشعث حَسوداً حَقوداً، وكان قد توجَّه إلى خراسان مع خالٍ له بطَلبِ مِيراثٍ، فجعل يختلف إلى بغيٍّ هناك يقال لها: ماهنوس، فأُخذ معها، فشهد عليه جماعة منهم كَرْدَم بن مَرْثَد بن نَجَبَة الفزاري، وزُفَر ابن عَمرو الفزاريّ، ومحمد بن قَرَظَة، ويزيد بن زهير، فضُرب حدّاً، ولم تذهب الأيام حتى صار هؤلاء النَّفر من جُند ابن الأشعث لما ولي سجستان، فدسَّ إليهم مَن شهد عليهم بالزنى، فحدَّهم، فقال بعضهم: [من الطويل]

شَهِدْنا بحقٍّ وانتقمتَ بباطلٍ فأُبْنا بخَيرٍ واشتملتَ على وِزْر

[فصل: وفيها توفي]

عبد العزيز بن مروان

ابن الحكم [بن أبي العاص]. وأمُّه ليلى بنت زَبّان[(٤)] بن الأَصبغ بن عمرو الكلبيّ. وكنيته أبو الأَصْبَغ.

---

(١) «الاستيعاب» (١٧٨٥)، وينظر «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٩٧ وتخريجها ثمة.

(٢) مسند أحمد (١٥٩٦٠). وقوله: أبَدَّني عَيْنَيْه، أي: حَدَّدَ إليَّ النظرَ. قاله راوي الحديث.

(٣) كذا، ولم أقف عليه في تاريخه، والخبر في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤١٨.

(٤) في النسخ: زياد، والمثبت من «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٣٢. وما بين معكوفين من (ص).

من الطبقة الثانية من أهل المدينة ومُحدِّثيهم.

وذكره ابن سُمَيع في الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام.

وكان جواداً ذا مُروءةٍ ظاهرة، وكان أبوه قد عَقد له بولاية العهد بعد عبد الملك، وولّاه مصر فأقره عليها عبد الملك، وثَقُل عليه مكانه، فأراد خلعَه ليُبايع لابنه الوليد وسليمان بالخلافة بعده، فمنعه قَبيصَةُ بنُ ذُؤَيب ـ وكان على خاتم عبد الملك ـ وقال له: لا تفعل؛ فإنك باعث على نفسك صَوْتاً نَعَّاراً، ولعل الموت يأتيه فتَستريح منه، فكفَّ عن ذلك ونَفْسُه تُنازعه، فدخل عليه رَوْحُ بنُ زِنْباع الجُذاميّ ـ وكان أجلّ الناس عنده ـ فشاوره فقال: لو خلعتَه ما انتَطح فيها عَنْزان.

فبينا هما على ذلك وقد نام عبد الملك وروح في تلك الليلة، إذ دخل عليهما قَبيصة ابن ذُؤيب ليلاً، وكان لا يُحجب عن عبد الملك، وكانت الأخبار والكتب تأتيه فيقرؤها قبل عبد الملك، فقيل له: قد جاء قَبيصة، فدخل فقال: آجرك الله يا أمير المؤمنين في عبد العزيز، فاسترجع عبد الملك وقال لرَوْح: يا أبا زُرعة، كفانا الله ما أجمعنا عليه، فقال قَبيصة: إن الرأيَ كلّه في الأناة، وفي العجلة ما فيها، فقال عبد الملك: ربّما كان في العَجَلةِ خيرٌ كثير، ألم تر أمر عمرو بن سعيد؟! ألم تكن العَجَلة فيه خيراً من التأنّي[1]؟

ثم قال له قَبيصة: قد أتاك ما أردْتَ ولم تَقطع رَحم أخيك، ولم تأت ما تُعَاب به، ولم يُظهِر عليك غدراً، ولم يَسُؤه عنك السَّماع.

وكان الحجاج قد كتب إلى عبد الملك يُزَيّن له بيعةَ الوليد وسليمان، وأوفد إليه وَفْداً في ذلك منهم، عِمران بن عِصام العَنَزيّ، فقام عِمران خطيباً، وتكلم للوفد في ذلك، وسألوا عبد الملك، وأنشده عمران: [من الوافر]

أميرَ المؤمنين إليك نُهدي ... على النَّأْيِ التحيَّةَ والسَّلاما
أجِبْني في بَنيك يكن جَوابي ... لهم أُمْنِيَّةً ولنا قِواما
فإن تُؤثِرْ أخاك بها فإنّا ... وجَدِّكَ لا نُطيقُ لها تماما
ولكنا نُحاذِرُ من بَنيه ... بني العَلّاتِ مَأْثَرَةً سَمَاما
ونخشى إن جَعلتَ المُلكَ فيهم ... سَحاباً أن تَعودَ لهم جَهَاما

(١) تاريخ دمشق ١٩/٤٣ .

فقال عبد الملك: يا عمران، إنه عبد العزيز، قال: فاحْتَلْ له.

وكتب عبد الملك إلى عبد العزيز: يا أخي، إن رأيتَ أن تُصيِّر الأمْرَ لابن أخيك فافعل، فأبى، فكتب إليه، فاجعلْه له من بعدك؛ فإنه أعزُّ الخلق علي، فكتب إليه عبد العزيز: إني أرى في أبي بكر بن عبد العزيز ما تراه في الوليد، فكتب إليه: فاحمل خراج مصر إليّ، فكتب إليه عبد العزيز: إني وإياك قد بلغنا سناً لم يبلغها أحدٌ من أهل بيتنا إلا كان بقاؤه قليلاً، وإنا لا ندري أيّنا يأتيه الموت أولاً، فإن رأيت ألا تُغَثِّث[1] عليّ بقيةَ عُمري؛ ولا يأتيني الموت إلا وأنت واصِلٌ لي فافعل.

فرقَّ له عبد الملك وقال: لا غَثَثْتُ عليه بقيَّة عُمره، وقال لابنيه الوليد وسليمان: إن يُرِد الله أن يُعطيكموها لم يَقدر أحدٌ من الخلق على ردِّها عنكما، ثم قال: هل قارفْتُما حَراماً قطّ؟ قالا: لا والله، فقال: الله أكبر، نِلتماها وربِّ الكعبة.

ولما امتنع عبد العزيز من إجابة عبد الملك إلى ما التمس منه قال عبد الملك: اللهم إنه قد قَطَعني فاقطعْه، فلما مات عبد العزيز قال أهل الشام: رَدّ على أمير المؤمنين أمرَه، فدعا عليه فاستُجيبَ له[2].

[وقال ابن عساكر:] شهد عبد العزيز قتلَ عمرو بن سعيد الأَشْدَق، وكانت دار عبد العزيز بدمشق مُلاصقة الجامع، وهي اليوم دار الصّوفية، وكانت بعده لابنه عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه[3].

[أخبرنا مشايخنا، عن أبي الفضل بن ناصر بإسناده إلى محمد[4] بن الحارث المخزومي قال:] دخل رجل على عبد العزيز يشكو إليه صهراً له فقال: إن خَتَني فعل بي كذا وكذا، فقال له عبد العزيز: مَن خَتَنَك؟ قال: الخَتَّان الذي يَختِنُ الناس، فقال عبد العزيز لكاتبه: وَيحك ما هذا الجواب؟ فقال: أيها الأمير، إنك لَحَنْتَ، والرجل [لا]

(١) لا تفسد.

(٢) «تاريخ الطبري» ٦/ ٤١٢_٤١٤ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٣٧١_٣٧٤ ، و«المنتظم» ٦/ ٢٦١_٢٦٢ .

(٣) «تاريخ دمشق» ٤٣/ ١٢_١٣ وما بين معكوفين من (ص).

(٤) في (ص) وما بين معكوفين منها: أبي محمد، وهو خطأ، والخبر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢١ ، و«تهذيب الكمال» (٤٠٦٠)، و«المنتظم» ٦/ ٢٦٤ .

يعرف اللَّحن، وكان ينبغي أن تقول له: مَن خَتَنُك، بالضم، فقال عبد العزيز: أُراني أتكلم بكلام لا تعرفه العرب؟ والله لا شاهدتُ الناس حتى أعرفَ اللحن، وأقام في بيته جمعة لا يظهر؛ ومعه من يعلّمه العربية، فصلّى بالناس الجُمعةَ الأخرى وهو من أفصح الناس.

ثم كان بعد ذلك يُعطي على العربية، ويَحرم على اللحن، فجاءه قوم من قريش من أهل مكة والمدينة زُوّاراً، فجعل يقول للرجل منهم: من أنت؟ فيقول: من بني فلان، فيعطيه مئتي دينار، فسأل رجلاً منهم فقال: من بنو عبد الدار، فقال للكاتب: خُذها من جائزته، فأعطاه مئة دينار[(١)].

وكان يقول: مَن أمكنني من وَضْع مَعروفي عنده فيَدُه عندي أعظم من يدي عنده، وكان يترنّم بأبيات عبد الله بن عباس: [من الطويل]

إذا طارِقاتُ الهمِّ ضاجَعتِ الفتى　　وأعملَ فِكرَ الليل والليلُ عاكِرُ
وباكَرني في حاجةٍ لم يجدْ لها　　سِوايَ ولا يُوجَدْ لها الدهرَ ناصرُ
فكان له فَضْلٌ عليَّ بظَنِّه　　بيَ الخيرَ إنّي للّذي ظنَّ شاكرُ

وفي هذا المعنى يقول بشار بن برد: [من الخفيف]

ليس يُعطيكَ للرَّجاء ولا الخَوْ　　فِ ولكنْ يَلَذُّ طَعْمَ العَطاءِ[(٢)]

ومرض عبد العزيز، فدخل عليه كُثَيِّر عَزَّة فقال: [من الكامل]

ونَعودُ سيِّدَنا وسيِّدَ غيرِنا　　ليتَ التَّشَكِّي كان بالعُوَّادِ
لو كان يُقْبَلُ فِدْيَةٌ لَفَديتُه　　بالمصطفى من طارفي وتِلادي[(٣)]

وحدَّ عمرو بن سعيد الأَشْدق عبدَ العزيز في شرابٍ شربه، فوجد عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه لما ولي المدينة إسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر في بيت خُلَيْدَة العرجاء، فحدَّه حدَّ الخمر، فقال له إسحاق: يا عمر، كلُّ الناس جُلِدوا في الخمر، يعرِّض بأبيه[(٤)].

(١) تاريخ دمشق ٤٣/ ٢١ وما سلفَ بين حاصرتين منه.
(٢) «العقد الفريد» ١/ ٢٣٠.
(٣) «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٢.
(٤) انظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٦٨.

ذكر وفاته:

لما احتضر عبد العزيز قيل له: مالُك بمصر[١] يبلغ ثلاث مئة مُدْيٍ من ذهب، فقال: وَدِدْتُ أنه كان بَعراً حائلاً بنجد.

وتوفي بمصر في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين، وبلغ الخبر عبد الملك ليلاً، فلما أصبح دعا الناس إلى البيعة للوليد، ثم بعده لسليمان، وقدم كُثَيّر عَزَّة مصر وورثة عبد العزيز يقتسمون ماله، فبكى وقال: [من البسيط]

أضحى تراثُ ابنِ ليلى وهو مُقْتَسَمٌ ... في أقربيهِ بلا مَنٍّ ولا ثَمَنِ
ورَّثْتَهم فتَعَزَّوا عنك إذ وَرِثوا ... وما وَرِثْتُك غيرَ الهَمِّ والحَزَنِ

فقال ورثته: لا جَرَم، والله لا تنصرف إلا بمثل نصيبِ واحدٍ منا.

ولكثيّر فيه أشعار كثيرة منها: [من الطويل]

قَليلُ الأَلَايا حافظٌ ليمينه ... فإن بَدَرَتْ منه الأَلِيَّةُ بَرَّتِ
حَليمٌ رَزينٌ ذو أناةٍ وإرْبَةٍ ... بصيرٌ إذا ما كِفَّةُ الحربِ جُرَّتِ

ومنها: [من الطويل]

شهدتُ ابنَ ليلى في مواطنَ قد خَلَتْ ... يزيدُ بهذا الحلم حِلماً حُضُورُها
وإني لآتٍ قبرَه فمُسَلِّمٌ ... وإن لم يُكلِّم حُفْرَة مَن يَزورُها[٢]

ذكر أولاده:

كان له من الولد: عمر رضي الله عنه، ولي الخلافة، وعاصم، وأبو بكر، ومحمد، درج، أمُّهم أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب[٣].

والأَصْبَغ، وأم عثمان، وأم محمد لأم وَلَد.

وسُهيل، وسَهْل، وأمُّ الحكم، أمُّهم أم عبد الله [بنت عبد الله] بن عمرو بن العاص ابن وائل.

---

(١) في (ص): حكى أبو سعيد بن يونس أن عبد العزيز لما احتضر قيل كان له ملك بمصر. والخبر في «تاريخ دمشق» ٤٣/ ٢٥ من طريق ابن أبي الدنيا بإسناده إلى حماد بن موسى الخشني.

(٢) ينظر «تاريخ دمشق» ٤٣/ ١٤.، وديوان كُثَيِّر ص٣٧٨ و٨٥ و١٦١ - ١٦٢ على الترتيب.

(٣) في (خ) و(د): بن أبي طالب وهو خطأ، والمثبت من (أ).

وزَبَّان، وجُزَيّ لأم ولد.

وأم البنين، وأمُّها ليلى بنت سُهيل بن حَنْظَلة كلابيّة.

روى عبد العزيز عن أبي هريرة، وكان ثقةً قليلَ الحديث[١].

عمران بن عصام[٢] الضُّبَعيّ

أبو عُمارة، من الطبقة الثانية من التابعين من أهل البصرة، كان قاضياً عليها، وكان إمامَ مسجد بني ضُبَيْعة، يختم بهم في رمضان كلَّ ثلاث ليال، وكان قد خرج مع ابن الأشعث، فلما قتل جيء به إلى الحجَّاج فقال له: اشهَدْ على نفسك بالكفر، فقال: ما كفرتُ بعد إيماني، ثم كشف رأسَه وإذا به مَحلوق، فقال: ومحلوق أيضاً؟ يعني أنه يرى رأيَ الخوارج، فقتله.

عمرو بن حُرَيْث

ابن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عُمر بن مَخزوم، أبو سعيد.

من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، وكان زياد يَستخلفه على الكوفة إذا خَرج إلى البصرة.

حمله أبوه إلى رسول الله ﷺ فمسح برأسه، ودعا له بالبركة، وخطّ له بالمدينة داراً بقَوس[٣]، ومات رسول الله ﷺ وله اثنتا عشرة سنة.

وزعموا أنه أول قُرشيٍّ اتَّخذ بالكوفة داراً. وكان له قَدرٌ وشَرَف.

ومن حديثه أنه رأى النبي ﷺ يصلي في نَعلَين مَخْصُوفَين[٤].

ومات بالكوفة سنة خمس وثمانين.

---

(١) «طبقات ابن سعد» ٧/ ٢٣٢_٢٣٣ .

(٢) في النسخ: عاصم، والتصويب من تاريخ خليفة ص٢٨٢ ، و«أنساب الأشراف» ٦/ ٤٩٨_٤٩٩ ، والعقد الفريد ٥/ ٥٤ ، و«تاريخ دمشق» ٥٢/ ٢٥٨ .

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٣٥ ، وأخرجه أبو داود (٣٠٦٠) بنحوه، وقوس: وادٍ.

(٤) مسند أحمد (١٨٧٣٦).

وأبوه حُرَيث من الصحابة، روى عنه ابنُه عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «الكَمْأَةُ من المَنِّ، وماؤها شِفاءٌ للعين»(١).

[فصل: وفيها توفي]

واثِلة بن الأَسْقَع

ابن عبد العُزَّى بن عَبدِ يالِيل بن ناشِب بن غِيَرة بن سعد بن لَيث، أبو قِرْصَافَةَ اللَّيثي.

من الطبقة الثالثة من المهاجرين(٢)، كان ينزل ناحية المدينة، فأتى رسولَ الله ﷺ فصلى معه الصُّبح، فكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف يتصفَّح وجوه أصحابه ينظر إليهم، فلما دنا منه أنكره فقال: مَن أنت؟ فأخبره، فقال: «ما جاء بك»؟ قال: جئتُ أبايع، قال رسول الله ﷺ: «على ما أحبَبْتَ وكَرهتَ؟!» قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «فيما أطَقْتَ»؟ قال: نعم، فأسلم وبايعه. وكان رسول الله ﷺ يَتجهَّز يومئذ إلى تبوك.

فخرج واثلة إلى أهله، فلقي أباه الأَسْقَع، فلما رأى حاله قال: قد فعلتَها، قال واثلة: نعم، فقال أبوه: والله لا كَلَّمتُك أبداً، فأتى عمّه فكلمه فلم يكلمه وقال: قد فعلتَها، قال: نعم، فلامه لائمةً أيسرَ من لائمةِ أبيه وقال: لم يكن ينبغي لك أن تَسبقَنا بأمر.

وسمعت أختُ واثلة كلامَه، فخرجت فحيَّتْه بتحيةِ الإسلام، فقال لها واثلة: من أين لك هذا يا أُخَيَّة؟ قالت: سمعتُ كلامَك وكلامَ عمِّك، وكان واثلة ذكر الإسلام ووصفه لعمِّه فأعجب أُختَه فأسلمت، فقال لها واثلة: لقد أراد الله بك خيراً يا أُخَيَّة؛ فجهِّزي أخاك جهازَ غازٍ؛ فإن رسول الله ﷺ على جَناح سَفَر، فأعطته مُدّاً من دقيق وتمر.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٢٧) وأخرجه البخاري (٤٤٧٨) ومسلم (٢٠٤٩) من طريق عمرو بن حُريث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه وانظر في ترجمة عمرو بن حريث: «طبقات ابن سعد» ٦/ ٥٣٤ و٨/ ١٤٦، و«السير» ٣/ ٤١٧ وما في حواشيه من مصادر.

(٢) بعدها في (ص): ولم يشهد بدراً ولا أحداً وإنما أتى رسول الله (ص) فأسلم على يده وهو يتجهز إلى تبوك وجعل يقول: من يحملني عقبة وله سهمي، فحمله كعب بن عجرة فحصل له قلائص فدفعها إلى كعب فلم يأخذها وقال: إنما حملناك لله تعالى، وقد ذكر القصة ابن سعد. والمثبت من النسخ (أ) و(خ) و(د).

وأتى المدينة ورسول الله ﷺ قد تحمَّل إلى تبوك، وبقي بقيَّةٌ من الناس، فجعل ينادي: مَن يَحملني وله سهمي؟ وسمعه كعب بن عُجْرَة فقال: أنا أحملك عُقْبَةً بالليل، وعُقْبةً بالنهار، ويدي ويدك[١]، وسهمُك لي، فقال واثلة: نعم، قال واثلة: فجزاه الله خيراً.

قال: وسار خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِرِ دُوْمَة، وخرجتُ معه، فأصَبْنا فَيئاً كثيراً، وأصابني ستُّ قَلائص، فجئتُ أسوقُها إلى خيمة كعب بن عُجْرة فقلت: اخرج فاقبِضْ قلائصَك، فخرج وهو يتبسَّم ويقول: بارك الله لك فيها، ما حملتُك وأريد أن آخُذَ منك شيئاً.

ولما أسلم واثلةَ[٢] قال له رسول الله ﷺ: «اذهب فاحلق عنك شَعَر الكُفر، واغتسل بماءٍ وسِدر» ففعل.

[وذكر ابن عساكر وقال:] شهد واثلة فتح دمشق، وقتل عظيماً من عُظماء الروم وأخذ سَلَبَه، فدُفع له في سَرْجه عَشْرةُ آلاف[٣].

وقال خليفة[٤]: كانت له دار بالبصرة.

وذكره ابن سعد فيمن نزل الشام من الصحابة[٥].

واختلفوا في وفاته؛ وقال ابن سعد بإسناده عن أبي الزاهرية قال: مات واثلة بن الأسقع بالشام سنة خمس وثمانين وهو ابن ثمان وتسعين سنة[٦].

وحكى ابن عساكر عن أبي حاتم قال: كان واثلة يشهد المغازي بدمشق[٧]. وحكى ابن سعد أيضاً أنه مات في سنة ثلاث وثمانين ببيت المقدس[٨]. وقيل: إنه سكن

(١) في مغازي الواقدي ١٠٢٩، و«طبقات ابن سعد» ٥/ ١٣٠، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٧١٠ (مخطوط)، و«المنتظم» ٦/ ٢٦٥: ويدك أسوة يدي.

(٢) في (ص): وقال الواقدي ولما أسلم. اهـ. ولم أقف على الخبر من رواية الواقدي، وأخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/ (١٩٩)، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ٥٧٠، والخطيب في تاريخه ١٥/ ٨١، وأبو نعيم في «الحلية» ٩/ ٣٢٩، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٧٠٩-٧١٠ من طريق معروف الخياط، عن واثلة، به.

(٣) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٧٠٤، ٧٠٥، وما بين معكوفين من (ص).

(٤) في طبقاته ٣١.

(٥) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤١١.

(٦) «طبقات ابن سعد» ٥/ ١٣٠ و٩/ ٤١١.

(٧) «تاريخ دمشق» ١٧/ ٧٠٧.

(٨) «طبقات ابن سعد» ٩/ ٤١٢.

البَلاط[١]؛ قرية من قرى دمشق على ثلاثة فراسخ منها، ثم تحوَّل فسكن البيت المقدس حتى مات به.

[وقال ابن عساكر أيضاً:] سكن دمشق إلى أن توفي بها، وهو مدفون بالحضيرة التي بمقابر الباب الصغير، فيها قبر معاوية[٢].

وهو آخر من مات من الصحابة بدمشق. وقيل: مات وهو ابن مئة وخمس سنين.

وكان يتغدَّى ويتعشَّى بفِناء داره، ويدعو الناس إلى طعامه.

وقيل: مات بحمص[٣]، وقيل: اغتيل بين حمص ودمشق.

أسند عن رسول الله ﷺ ستة وخمسين حديثاً.

موسى بن عبد الله

ابن خازم السُّلَمي، خرج من مَرْو ببعض ثَقَل أبيه عبد الله أمير خراسان، وقطع النهر في عشرين ومئتي فارس، فأتى آمُل[٤] وقد صار في أربع مئة فقاتلوه، فأتى بُخارى، فمنعه صاحبُها من دخولها وقال: لا مُقام لك عندي، ووصله بمال ودواب، وجعل يتنقّل في بلاد ما وراء النهر، واتَّفق عليه ملوك التُّرك، فأتى إلى التِّرمِذ وبها حصن حصين، فأقام بظاهرها، ولم يزل يُهادي صاحبها حتى صنع له طعاماً، ودعاه إلى البلد، فلما أكل الطعام قال له: اخرج، فقال: لا أجد مُقاماً أحصنَ من هذا، وقاتلهم فقتل منهم جماعة، وغلب على البلد، وأقام بها من سنة إحدى وسبعين يحارب الترك

(١) من قوله: وقال خليفة... إلى هنا من (ص)، وهي في (أ) و(خ) و(د) مختصرة.

(٢) ما بين معكوفين من (ص)، ولم أقف على الخبر في «تاريخ دمشق»، ولا في غيره، وقوله: الحضيرة، لعله: الحظيرة.

(٣) في (ص): قال الواقدي: وواثلة آخر من مات من الصحابة بدمشق، وقد حكاه ابن سعد أيضاً، قال. وكان يتغدى ويتعشى... وقيل مات بحمص والله أعلم. السنة السادسة والثمانون.

قلت: أخرج ابن عساكر في تاريخه ١٧/ ٧١٥ من طريق العباس بن الوليد، عن أبيه، عن سعيد بن بشير، عن قتادة قال: كان آخر أصحاب رسول الله (ص) موتاً بمكة عبد الله بن جابر... وآخرهم موتاً بدمشق واثلة بن الأسقع الليثي. ولم يذكر ابن سعد هذا الخبر، ولم أقف عليه للواقدي.

وأما قوله: كان يتغدى ويتعشى... فأخرجه ابن سعد في طبقاته ٩/ ٤١٢ عن الواقدي، عن الوليد بن مسلم، عن أبي المصعب مولى بني يزيد، به.

(٤) في (أ) و(خ) و(د): آمد، والمثبت من الطبري ٦/ ٣٩٨.

ومُلوكَهم، وهم مجتمعون على حربه، وهو يَظهر عليهم، فقصدوه مرة فخرج إليهم فبيّتهم، فقتل منهم مَقتلةً عظيمة؛ بحيث إنه بنى من رؤوسهم جَوْسَقَيْن، وبلغ الحجاج حديث الوقعة فقال: الحمد لله الذي نصر المنافقين على الكافرين.

وكان المهلّب مدةَ إقامته بخُراسان لا يعرض لموسى؛ لكونه في وجه بلاد الإسلام، وكذا يزيد بعده، إلى أن ولي المُفَضَّل بن المُهَلَّب، فجهّز إليه جيشاً كثيفاً، فحصروه مدَّةً، فخرج إليهم فأنكى فيهم، فعَرْقَبوا فرسَه وقتلوه، وفيه يقول بعض الشعراء في رجل اسمه موسى[1]: [من الطويل]

فما أنت موسى إذ يُناجي إلهه ولا واهِب البَدْرَاتِ موسى بنُ خازمِ

وكان جواداً مُمدَّحاً شجاعاً، قال أهل خراسان: ما رأينا ولا سمعنا بمثل موسى بن خازم، قاتل مع أبيه سنتين، ثم خرج يسير في بلاد خُراسان، حتى أتى ملكاً فغلب عليه، وأخرجه من مدينته، ثم سارت إليه جنود العرب وملوك الترك، فكان يقاتل العرب أول النهار، والترك آخره، وأقام في حصنه خمسة عشر سنة وملك ما وراء النهر.

ولما عَرْقَبوا فرسَ موسى أجهز عليه واصل العَنْبَرِيّ، وكان أمير جيش المفضَّل عثمان بن مسعود الثَّقفيّ، ومعه مُدْرِك بن المهلَّب.

ولما قُتل موسى كتب المفضَّل إلى الحجاج بقتله متقرِّباً إليه.

ولما قُتل ضرب بعضُ الجُنْد ساقَه بسيف، فلما ولي قتيبة بن مُسلم دعا بذلك الجندي فقال له: ما حملك على ما صنعت بفتى العرب بعد موته؟ قال: قتل أخي، فأمر به قُتيبة فضربت عُنقه بين يديه.

السنة السادسة والثمانون

فيها غزا قُتيبة بن مسلم ما وراء النهر؛ قال علماء السير: خطب الناسَ فقال: إن الله تعالى إنما أحلّكم هذا المحل لتُعِزُّوا دينَه، ويَذُبَّ بكم عن الحُرُمات، ويزيد بكم للمال استفاضة، وللعدو قمعاً، ووعد نبيَّه ﷺ النَّصْرَ في الكتاب الصادق فقال تعالى: ﴿هُوَ

(١) في «تاريخ الطبري» ٦/ ٤٠٩: وكان بقومس رجل يقال له عبد الله يجتمع إليه فتيان يتنادمون فلزمه دين، فأتى موسى بن عبد الله فأعطاه أربعة آلاف، فأتى بها أصحابه، فقال الشاعر يعاتب رجلاً يقال له موسى.